

التربية والتغير الاجتماعي والثقافي

إن التغير والتطور أصبح سمة من سمات الحياة.

- إذا كان التغير سمة وطبيعة الكون والحياة, هل الإنسان بنا أوتي من طاقات عقلية وجسمية القدرة على تعديل وتوجيه مسار التغيرات التي تحدث في المجتمع.
- وما تفسير المتغيرات التي تنتاب المجتمع.
- وهل التربية تعد تعد عاملا من عوامل التغير الاجتماعي والثقافي, أي تقوم بدور إيجابي هذا التغير أم أنها تابعة.

التداخل بين مفهومي التغير الاجتماعي والتغير الثقافي:

- تجدر الإشارة إلى الترابط الوثيق بين مصطلحي التغير الاجتماعي والتغير الثقافي.
- والنظام الاجتماعي للمجتمع يتكون من مجموعة من النظم الفرعية التي تتفاعل مع وتتبادل التأثير فيما بينها, ويحيط بها جميعا الإطار الثقافي.
- وهذا الإطار الثقافي يتأثر بعدد من العوامل التي تأتي من داخل ثقافة المجتمع, أو من خارجها فتعمل على تغييره.
- ويفرق علماء الاجتماع بين نمطين من الثقافة الثقافية الديناميكية "المتغيرة" والثقافة الجامدة.

أنماط أو أنواع الثقافة

ثقافة ديناميكية متحركة

ثقافة جامدة راكدة:

- لا نلمح اتجاه للتطور أو الإصلاح.
- اهتمامات الناس حول أشياء معينة, مع قبول الأوضاع الراهنة.
- يقل التجريب أو ينعدم, لأن خبرة الكبار هي المفضلة.
- لا يسمح بإطلاق قوى الإنسان وإبداعاته.
- التغيير الاجتماعي أقل أثرا .

- يزداد فيها معدل الاختراع والاكتشاف.
- تكون القوانين دائمة التغير.
- العادات والتقاليد مرنة.
- يتمتع فيها الفرد بحرية الرأي, وحرية التفكير.
- هي ثقافة متحررة تنظر إلى المستقبل أنه أفضل من الحاضر, فتضع له الأهداف والوسائل اللازمة.
- وهي ثقافة تفتح نوافذها على الثقافات الأخرى فتأخذ منها وتعطيها.
- وهي الثقافة التي نلاحظ التغير الاجتماعي فيها سريعا ومتسعا وعميقا.

مفهوم التغير الاجتماعي:

- التغير في معناه يشير إلى تغير في أنماط الحياة نتيجة للتغير في الظروف الجغرافية أو في الإمكانيات الثقافية أو تكوين السكان أو نتيجة لانتشار التقنية أو الاختراع داخل المجتمع, وبذلك يتضمن هذا التغير كل ما يحقق حاجات الأفراد في الجماعة.
- وهناك تعريف آخر هو "تغيرات تلحق بالبناء الاجتماعي والثقافة السائدة وتختلف في عمقها ومداهها باختلاف عوامل متعددة في داخل الثقافة ومن خارجها.
- والتغيرات الاجتماعية التي تصيب أي مجتمع تعد نافعة وإيجابية في جوهرها إذا ما حققت متطلبات وحاجات الأفراد في بلوغ التقدم.

النظريات والعوامل المفسرة للتغير الاجتماعي:

تختلف عوامل ومسببات التغير الاجتماعي, وقد يشترك واحد أو أكثر في تحقيق التغير, ومن هذه العوامل:

1. العوامل السيكولوجية المرتبطة بشخصية الإنسان, كأن يسعى إلى التغير الاجتماعي بدافع إشباع حاجاته ومتطلباته.
2. أو أن يكون الصراع والتنافس بين الأفراد والجماعات هو المحرك لإحداث التغير.
3. كذلك مطامح الأفراد وبزوغ الزعامات والشخصيات الفذة لها وزنها وتأثيرها في حركة التغير الاجتماعي.
4. كذلك عوامل مرتبطة بفكر الجماعة أو العقائد الدينية.

- وكلا العوامل السابقة على صلة وثيقة بالتربية, بل أن بعض العلماء والمفكرين اعتبر أن التربية في ذاتها تعد قوة دافعة للتغير والتقدم, وأن التجديد وتنمية واستحداث أساليب وطرائق جديدة في تربية الأفراد يفضي في النهاية إلى تحقيق تغير اجتماعي وثقافي في حياة المجتمع.

بعض النظريات التي تفسر التغير الاجتماعي وعوامله:

- **ابن خلدون:** يفسر التغير الاجتماعي على أساس فكرة تعاقب الأطوار الاجتماعي وفق قوانين أو سنن ثابتة تكاد تشبه سنن الطبيعة, وذهب إلى أن الدولة تمر في خمسة أطوار, من بداية نشأتها وتطورها وازدهارها إلى بداية تفككها ومن ثم انحلالها, وركز على دور السلطة السياسية في ذلك.
- **أرنولد توينبي:** ذهب إلى وجهة قريبة من نظرية ابن خلدون حول تعاقب الأطوار حيث شبه الحضارة بالحياة الإنسانية من طفولة إلى مرحلة وشباب ثم هرم وتحلل, واختلف عن ابن خلدون في أهمية ليس فقط القوى والسلطة السياسية وإنما العوامل الاقتصادية أيضا.
- **أوجست كونت:** فهو يرى أن التغير الاجتماعي هو محصلة النمو الفكري الإنساني, وهنا نجد أن كونت يعطي وزنا كبيرا للعلم في تحقيق أية تغيرات اجتماعية.

وجهة النظر المادية في التغير الاجتماعي:

- هي تعتمد على أن القوى الاقتصادية هي الأساس المحوري في إحداث التغير الاجتماعي.
- فالأولوية للتغيرات التي تقع في الأساس الاقتصادي, وهي تعتمد على القوانين العلمية ذات الطبيعة السببية أو الحتمية, ويتبع التغيرات الاقتصادية تغيرات في البناء الفوقي المتمثل في الأفكار والعقائد والقانون والنظريات.

مفهوم التغير الثقافي وطبيعته:

- حتى نفهم طبيعة التغيرات الثقافية لابد من إيضاح الثقافة ومكوناتها وتقسيماتها.

- ومن أشهر تقسيمات عناصر الثقافة ما يلي:

1. **العموميات:** وهي الجوانب من الثقافة التي تتسم بالثبات الكبير (كالعقائد، والقيم واللغة) وهي التي تنتشر لدى كافة أبناء الثقافة وتجد منهم قبولا واحتراما.

2. **الخصوصيات:** (كالجوانب المهارية والفنون، واللهجات، وأنواع النشاط العملي) وهي أقل ثباتا من العموميات، إذا يعثرها التغير بفعل عوامل التقدم الحضاري العملية والتقنية.

3. **بديلات الثقافة أو المتغيرات:** (أساليب التفكير، المذاهب والأفكار التي تأتي عن طريق الاقتباس من ثقافات أخرى) وهذه البديلات هي العناصر الأكثر تغيرا من بين كافة عناصر الثقافة.

- وسوف نعرض الثقافة العربية كنموذج لتقسيم عناصر الثقافة كالتالي:

عموميات لأنها تتصف بالثبات والديمومة, ولا تتأثر كثيرا بالاحتكاك بثقافة المجتمعات الأخرى	الدين الإسلامي اللغة العربية القيم والآداب الإسلامية
خصوصيات لأنها تتغير ببطء شديد بسبب عوامل من داخل الثقافة ومن خارجها	العادات اللهجات المحلية
بديلات الثقافة أو المتغيرات لأنها سريعة التغير في داخل كل ثقافة استنادا إلى معدل قبولها وانتشارها	أنماط التكنولوجيا المخترعات (الآلات, السيارة, التلفاز) موجات الفنون والمعارف المتجددة

النظريات المفسرة للتغير الثقافي:

• نظرية الانتشار الثقافي:

يرى أصحاب هذه النظرية أن هناك ثقافة محورية مركزية تتمكن من الانتقال من الثقافات الأخرى خلال فترة الاحتكاك الثقافي. وأنه كلما طالت فترة الاحتكاك الثقافي بين أي مجتمعين وتنوعت مظاهر وفرص الاتصال بينهم زاد التغير الثقافي.

• نظرية التخلف الثقافي:

يرى أصحاب هذه النظرية أن عناصر الثقافة تتغير بنسب متفاوتة، فالعناصر المادية في التراث الثقافي تتغير بسرعة أكبر من العناصر المعنوية، ومثال ذلك إذا ظهر اختراع جديد (عنصر مادي) فهناك تغيرات ثقافية تحدث داخل الثقافة وتصيب جوانب القيم والعادات (عنصر معنوي) لذلك من الواجب على المجتمع أن يعيد تنظيم نفسه بعد كل اختراع أو تقنية جديدة، وإلا حدثت فجوة بين جانبي الثقافة المادي والمعنوي.

العوامل المشتركة المؤثرة في تشكيل التغير الاجتماعي والتغير الثقافي:

- **العامل الجغرافي:** قد يحدث مثلا أن تتغير الأهمية الجغرافية لمنطقة معينة نتيجة فتح قنوات ملاحية, أو اكتشاف طرق تجارية, فتتغير ظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تلك المنطقة (مثل مصر, وقناة السويس) ورغم ذلك فإن العامل الجغرافي يظل محدودا وذلك نظرا للتأثير المتزايد للإنسان في التحكم في البيئة.
- **العامل السكاني:** عدد السكان إذا زاد أو نقص نتيجة لعدد المواليد أو الهجرة, فمن المتوقع أن تتغير تبعاً لذلك نسب الأطفال والشيوخ والشباب وكذلك نسبة الذكور والإناث, وهذا من شأنه أن يغير من حالة المجتمع المادية والفكرية والاجتماعية.

- **العوامل التكنولوجية:** تتأثر المجتمعات بشدة بالمخترعات المادية, وقد كان لكل اختراع جديد أثر ظاهر في البناء الاجتماعي, مثال (السيارة) أحدثت انقلاباً في البيئات الصغيرة المنعزلة ويسرت وسائل التبادل فاتسعت دائرة العلاقات الاجتماعية, وانتقل أفراد المجتمع الواحد من منطقة إلى أخرى.
- **العوامل الاقتصادية:** يذهب بعض المفكرين الاجتماعيين إلى اعتبار العامل الاقتصادي هو العامل الحاسم في التغير الاجتماعي, ذلك أن الأنشطة الاقتصادية لها أهمية أساسية في تحديد أنماط الحياة في المجتمعات.

• **العوامل الفكرية:** للجوانب الفكرية بما تشتمل عليه من افكار ونظريات وعقائد وعلوم وآداب أثر كبير في التغير الاجتماعي فالديانات السماوية جميعها أترث بشدة في إحداث تغيير إيجابي على الإنسانية, ثم هناك المذاهب والفلسفات الوضعية كحركات الإصلاح الديني, والثورات السياسية كلها أحدثت تغييرات كبيرة في مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية.

• **العوامل المرتبطة بالاتصال:** كلما كثرت وسائل الاتصال بين المجتمعات نشطت عمليات التغير الاجتماعي والثقافي, مثل الإذاعة, والصحف والتلفاز, والسينما والفضائيات والكمبيوتر كلها ساعدت على تبادل الأفكار والخبرات مما يؤدي إلى التغير الاجتماعي والثقافي.

• القادة والزعماء:

يرى بعض التربويين والاجتماعيين أن المجتمع يتغير نتيجة أفكار العظماء والقادة, وأفكارهم التي تسمو على الظروف الواقعية, فهم قادرون على دفع المجتمع وتوجيه الناس توجيهها يؤثر بعمق في اتجاهاتهم وآرائهم وسلوكهم العام.

دور التربية الحديثة إزاء إحداث تغير اجتماعي ثقافي إيجابي في المجتمع:

إن التربية هي الأداة الرئيسية لنقل التراث الثقافي في المجتمع والمحافظة عليه وتنقيته وتجديده, وهي بذلك تقوم بوظيفتها هذه في التغير الثقافي, وكذلك بالنسبة للتغيرات الاجتماعية, ودور التربية الحديثة إزاء التغير الاجتماعي والثقافي ما يلي:

1. بناء الرؤية الفكرية الدافعة للتغير والتقدم في المجتمع.
2. إكساب الأفراد القيم والاتجاهات المسهمة في إحداث التغير وتقبل نتائجه.
3. تعريف الأفراد بطبيعة التغير ومداه والمغزى منه.
4. عقلنة التربية للتغيرات الاجتماعية والثقافية.
5. تكوين العقلية الشمولية.
6. تعلم طرائق التفكير.
7. الموائمة بين الأصالة والمعاصرة.